بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ:16/05/2008 الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسة قوانين القرآن))

في ((سنن الله في التيسير و التعسير))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره ، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فنحن جميعاً عما قريب ماضون إلى دار لا درهم فيها ولا دينار، لا ينفع فيها مال ولا بنون، ليس هناك إلا الحسنات والسيئات، وإنه من عمل الحسنة كوفئ بها ومن عمل السيئات جوزي عليها وإن القاضي بصير وهو لا يحابي ولا يماري ولا يميل لقوم دون قوم فقدموا لأنفسكم

إنه من ﴿ ooيَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾[الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) ﴾[آل عمران]

وقال الله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) ﴾[فاطر]

نحن في الخطبة الثامنة عشر من سلسلة السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن .

تحدثنا لماذا هذه السلسلة، وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في النصر، وعن السنن الإلهية في الابتلاء، وعن السنن الإلهية في الهداية والضلال، وعن السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح، وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات، وفي الظلم والظالمين، وفي رزق العباد، وفي تكليف العباد، وفي الحياة الطيبة والمعيشة الضنك، وفي تحصيل الألفة والمنفعة، وفي البقاء للأنفع ،وفي ﴿ ooالصُّلْحُ خَيْرٌ oo (128) ﴾[النساء]، و ﴿ oالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه] ، وفي قوله ﴿ ooوَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ oo(43) ﴾[فاطر].. والأسبوع الماضي كان الحديث عن السنن الإلهية في إهلاك الأمم .....

وعنوان خطبة اليوم : **السنن الإلهية في التيسير والتعسير .**

التيسير: أن يسلك الله بالعبد سبيل السهولة والراحة، والتعسير عكسه.

ولا زال الناس يحبون التيسير في كل شأن من شؤون حياتهم وينفرون من التعسير، يدعون الله تيسير زواج أولادهم وتيسير دراسة أبنائهم وتيسير أعمالهم وأشغالهم وتيسير سفرهم وحضرهم ..

يسمون أبنائهم بأسماء التيسير واليسر تفاؤلاً يسمون ميسراً ويساراً وياسر وتيسير ويسرى وأبو اليسر يتفاءلون بهذه الأسماء ...

وهم كلهم لم نرى أحداً منهم يحب التعسير أو يطلبه أو يسمي ولداً من أولاده بأسماء العسر والتعسير .

فما السنن الإلهية في التيسير والتعسير، ما الأمور التي إذا سلكتها سلك الله بي جادة التيسير ؟ وما الأمور التي إن ارتكبتها سلك الله بي جادة التعسير ؟

إني وجدت في القرآن الكريم خمس سنن إلهية في التيسر والتعسير هي مادة هذه الخطبة .

السنة الأولى وهي القاعدة العريضة إذا أردت أن ييسر الله لك أعمالك أو زواجك أو دراستك أو سائر شؤون حياتك، القاعدة تقول : ﴿ooوَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ﴾[الطلاق] .

تقوى الله سبب لتيسير أمورك, الانضباط بالشرع سبب لتيسير حياتك, فعل المأمورات وترك المنهيات سبب لتيسير مسالكك في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

إذا ضاق عليك أمر فانظر هل تركت شيئاً من أمر التقوى ؟ , إذا عثرت عليك حاجة فابحث هل خالفت أمراً من أمر التقوى ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير 0))[الطبراني]

ومستحيل أن تتقيه ثم لا يكون معك .

أب جاوز الخامسة والخمسين من عمره يعيش مع أولاده الأربعة و أمهم في منزل جيد من منازل مدينة دمشق ، كان موظفاً في الصباح ويعمل مساءاً في أحد الفنادق في قسم الاستقبال .

لما التزم بالمساجد سأل أحد الشيوخ عن حكم عمله في الفندق خاصة وأن إدارة الفندق أوكلت إليه رعاية بعض المجموعات السياحية النازلة في الفندق، وأخبر الرجل الشيخ أن هذه المجموعات لم تكن منضبطة بضوابط الشرع لا بالأخلاق ولا بقيم مجتمعنا فيما يتعلق بلباسها أو بكلامها أو بعلاقة الرجال والنساء فيها أو بطعامها وشرابها، ومطلوب من هذا الرجل حسب إدارة الفندق أن يسهل لهم أعمالهم ومنها بعض الأعمال المخالفة للشرع .

الرجل سأل الشيخ ما حكم العمل وأنا محتاج لهذا العمل بعض الظهر؟ نصحه الشيخ أن يطلب من إدارة الفندق أن تعفيه من هذا العمل فلم ترض الإدارة وقالت له: إما أن تعمل بكل ما طلب منك أو نعتذر عن عملك، قدم الرجل استقالته مع حاجته إلى العمل لأنه يساعده في مصروف بيته وراح يبحث عن عمل بديل لا توجد فيه مخالفة للشرع .

وهذه هي التقوى إذا كنت محتاجاً لأمر وهذا الأمر فيه مخالفة للشرع لابد أن تتركه, إذا كنت تحب أمراً وهذا الأمر فيه مخالفة للشرع لابد أن تتركه , التقوى فعل المأمورات وترك المنهيات .

نحن كلنا في المسجد الآن في حالة تقوى لكن نريد أن نكون في معاملنا في حالة تقوى، في علاقاتنا البيتية في حالة تقوى، في أخلاقياتنا اليومية في حالة تقوى، و إنك إن اتقيت الله سيجعل لك من أمرك يسراً .

وإن هذا الرجل كان يعتقد أن: ﴿ ooمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ﴾[الطلاق] ترك العمل وراح يبحث عن غيره مرت أشهر ستة ولم يجد عملاً.

الرجل جاوز الخامسة والخمسين وضاق عليه الأمر المادي، مرت سنة وسنتان ولم يجد العمل المقبول فيه إذ إنه اقترب الآن من الستين، انتهى عمله في وظائف الحكومة وأحيل إلى التقاعد وازداد عليه الخناق لقد بقي مع أولاده الأربعة وأمهم على راتب التقاعد ولا عمل إضافي لكن﴿ ooمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ﴾[الطلاق].

الآن تخرج ابنه الأكبر في كلية الطب، ثم تخرج في اختصاص طب الأطفال ، لا مال عند الأب ليؤسس عيادة لولده، ثم أولاده الثلاثة اللاحقون قاربوا سن الزواج ولا مال عند الأب لمعونتهم .

قررت العائلة أن تستغني عن غرفة من المنزل لتكون عيادة للابن، وبالفعل استدانوا شيئاً من المال لتجهيز هذه العيادة المتواضعة جداً في هذا الحي العادي من أحياء مدينة دمشق .

وما عسى أن يعمل هذا الطبيب الاختصاصي الجديد أمام أساطين الأطباء في البلد لكن على العبد أن يعمل وعلى الله الرزق و ﴿ ooمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ﴾ [الطلاق].

بدأ الابن طبيب الأطفال بالعمل و فوجئ كما فوجئ أهله بإقبال الناس عليه وقصدهم له، أظهر الله على يده شفاء حالات مستعصية، ذاع صيته في حيه، زادت مراجعة المرضى له، زاد دخله وفيما أعلم أن دخله الشهري كان يساوي ثلاثة أضعاف أو أربعة مما يدخله أقرانه من الأطباء، سدد الديون، دفع بدل العسكرية، ساعد أخاه الأول في شراء المنزل ثم أخاه الثاني ثم اشترى منزلاً لنفسه، وكان يضع ماله كله بين يدي أبيه وأمه ليتصرفا فيه بما فيه مصلحة الأسرى والراحة والسرور والرضا تغمر قلب الأبويين .

قلت للابن الطبيب: إن ما أنت فيه من نعم هو جزء من ثواب الله لأبيك لأنه قبل سنوات ترك عملاً لا يرضي الله تعالى وصبر فأبدله الله تعالى بثمرة فؤاده مع رزق وافر .

إنه ﴿ (89) . .إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) ﴾ [يوسف]

إنه ﴿ ooمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ﴾ [الطلاق].

القانون الأول في التيسير السنة الإلهية الأولى في تيسير الأمور : ﴿ ooمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ﴾ [الطلاق].

السنة الثانية : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) ﴾ [الشرح]

إذا طاف بك عسر , إذا حل بك ضيق , إذا نزلت بك شدة , فلا تيأس فإن القانون الرباني جعل مع العسر يسراً ومع الضيق فرجاً , ومع الكرب مخرجاً , وسيجعل الله بعد عسر يسراً .

جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى في سورة الانشراح :﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) ﴾ [الشرح] أي إن مع الضيق والشدة سعة وغنى .

ومن عادة العرب إذا ذكروا اسماً معرفاً ثم كرروه فهو هو وإذا ذكروا اسماً منكراً ثم كرروه فهو غيره وهما اثنان.

في الآيتين جاء العسر معرفاً –العسر- وكرر في مرتين، العرب إذا عرفت اسماً ثم كررته فهو هو، أي نفس العسر .أما كلمة اليسر فجاءت منكرة ثم كررت إذا نكرت وكررت فهما اثنان .ففي الآيتين عسر واحد ويسران اثنان .

لذلك **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لن يغلب عسر يسرين".**[الحاكم]

وقال ابن عباس: يقول الله تعالى خلقت عسراً واحداً، وخلقت يسرين، ولن يغلب عسر يسرين.[تفسير القرطبي]

وقال ابن مسعود : والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ولن يغلب عسر يسرين .

وكتب أبو عبيدة ابن الجراح إلى عمر ابن الخطاب يذكر له جموعاً من الروم وما يتخوف منهم على البلد , فكتب إليه عمر رضي الله عنهما : أما بعد فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجاً ولن يغلب عسر يسرين .

وإن الله تعالى يقول في كتابه :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200) ﴾[آل عمران]

ألا يا أيها المرء الذي الهم به برح

إذا ضاق بك الصدر ففكر في ألم نشرح

فعسر بين يسرين إذا كررته فافرح .

السنة الثانية : ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) ﴾[الشرح]

السنة الثالثة : من يسر على العباد يسر الله عليه ومن عسر على العباد عسر الله عليه .

جرت عادة الله أيها الإخوة أن الوصف الذي تعامل به الخلق يعاملك به الحق .

-إذا عاملت الخلق بالرحمة عاملك الله بالرحمة، ((**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ..**)) [أبو داود و الترمذي]

-إذا عاملت الخلق بالعفو والمسامحة عاملك الله بالعفو والمسامحة ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ 00 (22) ﴾[النور]

-إذا عاملت الخلق بالستر عاملك الله بالستر ((**من ستر مسلماً ستره الله00**))[أحمد] .

-إذا أطعمت الخلق أطعمك الله، إذا سقيت الخلق سقاك الله ،إذا كسوت الخلق كساك الله. ((**أيما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا على عرى كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلمًا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم**)) **[أحمد و أبو داود]**

وبالتالي إذا يسرت على الخلق يسر الله عليك، إذا يسرت على زوجتك إذا يسرت على أولادك، إذا يسرت على موظفيك إذا يسرت على عمالك إذا يسرت على أصحابك ييسر الله عليك , وإذا شققت عليهم شق الله عليك .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي فرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ)) [أحمد]

فالوصف الذي تعامل به الخلق يعاملك به الحق والسنة الإلهية تقول :

من يسر على العباد يسر الله عليه ومن عسر على العباد عسر الله عليه .

السنة الرابعة قبل الأخيرة : إذا رأيت الله ييسر أمور عبد والعبد مقيم على المعاصي فاعلم أنه مستدرج .

لعل سائل يسأل نرى كثيراً من أهل الباطل أمورهم في يسر أعمالهم في يسر مصالحهم ميسرة نرى عدداً من أهل الفجور تمضي أمورهم كلها نحو خيرهم والقوم لا يتقون الله والقوم أصلاً لا ييسرون على العباد فما الشأن ؟ الجواب في هذه السنة .

إذا رأيت الله ييسر على عبد مصالحه وأعماله والعبد مقيم على المعاصي لا يرتدع عنها فاعلم أن الله تعالى يستدرجه .

قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)﴾ [الأنعام]

السنة الخامسة والأخيرة في التيسير والتعسير : ﴿ooيُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَooo (185)o﴾ [البقرة]

يا أيها الإخوة كل تعاليم الشرع لتيسير مصالحنا في الدنيا والآخرة وإنك لن تجد في شريعتنا عسراً.

دلت النصوص في الكتاب والسنة أن التيسير والتخفيف أحب إلى الله تعالى وإلى رسوله.

قال الله تعالى : ﴿ oo يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ oo (185) o ﴾ [البقرة]

وقال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28) ﴾ [النساء]

وقال الله تعالى : ﴿ oo مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ oo (6) ﴾ [المائدة]

قال النبي صلى الله عليه وسلم :((**خير دينكم أيسره**)) [البخاري في الأدب المفرد و أحمد]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((**إن هذا الدين يسر 00**)) [البخاري و النسائي]

وقالت عائشة رضي الله عنها :((**ما خير رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه**)) [مسلم]

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول بشأن الصوم والفطر للمسافر .أيهما أفضل؟

هناك مسألة فقهية المسافر يجوز له أن يفطر رخصة وله أن يصوم، أيهما أفضل الصوم أو الفطر؟ الفقهاء اختلفوا: بعضهم قالوا الصوم أفضل لقول الله تعالى : ﴿ oo وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184) ﴾ [البقرة، ، وبعضهم قال لا الفطر أفضل ل ((**أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه**)) [ابن حبان و الطبراني].

عمر بن عبد العزيز سأل فكان يقول أفضلهما أيسرهما على الرجل .

إذا كان الأيسر عليك أن تصوم فهذا الأفضل وإذا كان الأيسر عليك أن تفطر فهذا الأفضل .

ديننا دين يسر وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم أبي موسى الأشعري ومعاذ داعيين إلى اليمن وأوصاهما بقوله :((**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**)) [البخاري]

يا أيها الإخوة هذه هي خمس سنن إلهية في التيسير والتعسير:

1- ﴿ ooمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ﴾[الطلاق].

2- ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) ﴾[الشرح]

3- **من يسر على العباد يسر الله عليه وعكسه بعكسه .**

4- **إذا رأيت الله ييسر على عبد أموره والعبد مقيم على المعاصي فاعلم أنه يستدرجه .**

5- ﴿ ooيُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَoo (185)o ﴾[البقرة]

نسأل الله تعالى أن ييسر أمور حياتنا وآخرتنا.

والحمد لله رب العالمين وأستغفر الله .